بتاريخ 07 ربيع الثانى 1447
صلاة الجمعة

الجلسة 11

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم
الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد و آله الطّاهرين

تعليقة منيعة على آية الجمعة

لقد تبقَّت نكتة طريفة حول الآية الشّريفة:

نِعم ما استظهره كاشف اللّثام بأنّ النّداء و وجوب الصّلاة رهين إعلان السّلطان و الحكومة إذ الآية تتحدّث حول الصّلاة المألوفة و المعهودة لدى المتشرّعة أي الّتي كان الإمام أو الحاكم المحِقّ يُعلنها، فبالتّالي سَنَستَنبط وجوب السّعي بهذه الخصلة المتميّزة لا على الإطلاق: عينيّاً و تعيينيّاً ـ بأن يتوجّب على الكافّة إعقادها و توفير شرائطها حتماً ـ زعماً من الشّيخ مرتضى الحائريّ قائلاً:

«الشّبهة الثّالثة: كون متعلّق السّعي معهوداً قطعاً، و كون المقصود الأمر بالسّعي إلى الجمعة على ما هو المتداوِل في الخارج، و لا ريب أنّ المتداوِل كونها بيد الولاة و الأمراء و أئمّة الحقّ و الجور.

و فيها: بعد ما كان الأمر (فاسعَوا) مطلقاً، فلا ريب أنّ العرف يُلقي ما احتَمل دخالته فيه (فيُلغي انحصار الآية بنداء السّلطان إذ يُعدّ ظاهرةً غالبيّة خارجاً بلا موضوعيّة له أساساً، بل لو لم نُلغ الخصوصيّة:) ممّا يقتضي عدم الوجوب في أزمنة كثيرة فتأمّل تعرف، و هو العالم الهادي.»[1]

و لكن سنُقابله:

· أوّلاً: رَغمَ أنّ أساس عمليّة «إلغاء خصوصيّة المورد» يَخصّ نظرة العرف تماماً غيرَ أنّهم لا يُعمِلونها ضمن باب العبادات بهذه السّرعة و السُّهولة بل حيث تُعدّ عمليّةً مُستَعصِيةً ضمن العبادات فنادراً مّا يُلغون خصوصيّة تلك العبادة المأثورة، فلتَكن صلاة الجمعة من هذا النّسَق إذ لعلّ الشّارع قد اعتَنى بنداء السّلطان العادل بحيث يَرى هذه الصّلاة منصَباً خِصّيصاً للمعصوم وفقاً لتصريح القُدامى أيضاً فتُصبح ذاتَ موضوعيّة للشّارع إذن.

· ثانياً: إنّ مقالته: «ممّا يقتضي عدم الوجوب في أزمنة كثيرة» مشوبة بالإشكال إذ حتّى لو لم نُلغ الخصوصيّة و اقتَصرنا على إذن الإمام و نائبه، لما تعطَّلت الجمعة نظراً لإقامة حكّام الجور، إذن لا تتعطَّل في الأزمنة الكثيرة.

· ثالثاً: أساساً قد أكّدنا كراراً بأنّ الآية لا تُشرّع صلاة الجمعة كقضيّة حقيقيّة مُمتَدّة لكافّة البشر، فلو تنزَّلنا و افترضناها قد شرَّعت الجمعة، لَتصدَّت لأصل وجوبها بلا إطلاقها و توسيع نطاقها، بل عَيارُها يُعادل: »أقيموا الصّلاة» و «لله على النّاس حِجّ البيت مَن استَطاع» و«يأيّها الّذين آمنوا كُتب عليكم الصّيام»[2] و «أحلّ الله البيع و حرَّم الرِّبا» و... حيث لا تُطلق الحرمة حتّى تجاه الرّبا التّوليديّ و غير التّوليديّ و تجاهَ الرّبا بين دائرة الأفراد أو بين الأفراد و الدَّولة، فإنّ معظَم الآيات القرآنيّة قد انبَرَت لتبيين الكلّيّات الدّينيّة و الأسُس الشّرعيّة بلا رؤية للتّوسيع و الدَّحو أساساً، فلو أطلَقنا أمثال هذه الآيات لواجَهت تقييدات وفيرة فإنّها لا تُلائم

الإعجاز القرآنيّ ـ بخلاف تقييد الرّوايات فإنّها غير إعجازيّة ـ فبالرَّغمَ من أنّ الفقهاء القُدامى قد استَمسكوا بإطلاق آية البيع و الرّباء، و لكنّه يُعدّ استظهاراً مُشوَّشاً و مخدوشاً تماماً إذ قد بَدت ساطعةً أنّها لم تَتصدَّ لتشريح أبعاد البيع و الرّباء حتّى يُطلَقا من كافّة الأبعاد حيث لم تَتوفّر فيهما مقدّماتُ الحِكمة أساساً.

أجل ثمّة إطلاقات بلون «الموجَبة الجزئيّة» إذ أرقامها ضئيلةٌ و يسيرة ضمن القرآن فلا نَعتقد وفورَ موارد «الإطلاق القرآنيّ لأصل التّشريع مع إطلاق خصوصيّاته أيضاً» فإنّ النّاطق سيُسلِّط الضّوءَ إمّا على أصل الحكم أم على سِمةٍ محدَّدة نظير «أكرم كلّ عالم عادل» فلا يَنبع إطلاق إذن، و نظير: آيات الأمر بالمعروف، حيث لا تُطلق حتّى لو تضرّر الآمِر و انحرج، أجل إنّ آية «ما جَعل عليكم في الدّين من حرج»[3] تُعدّ حاكمةً على كافّة الأحكام و لكنّا قد أيقنّا بأنّ أغلبها تُحدِّد جذورَ الأحكام بلا تفريعاتها و تشقيقاتها.

---

[1] حائرى، مرتضى. صلاة الجمعة (حائرى)، صفحه: ١٢٩ جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي
[2] و لكنّ الشّارع قد تصدّى لبيان جزئيّات الصّيام باستدام الآيات التّالية قائلاً: «أَيّاماً مَعْدُودٰات فَمَنْ كٰانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعٰامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضٰانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وَ بَيِّنٰاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَ الْفُرْقٰانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كٰانَ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لاٰ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلىٰ مٰا هَدٰاكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ... أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيٰامِ الرَّفَثُ إِلىٰ نِسٰائِكُمْ هُنَّ لِبٰاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبٰاسٌ لَهُنَّ علِم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم و عفا عنكم فَالْآنَ بٰاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مٰا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...» (سورة البقرة الآيات 184-186)
[3] سورة الحجّ الآية 78.